

سؤال وجواب

الأحد 11 شباط 2018

الأمّ مريم، كتب سيادة المتروبوليت جوارجيوس في مقالة بعنوان: "ما الدينونة؟..." نودّ الإستفسار فيها حول النقطة التالية: "إنّ ساعة الموت ساعة مواجهة مع الخالق والمواجهة رهيبة لأنك تبدو أمامه في ثقل خطاياك وتالياً في تنافر وطبيعة الرب. وتحسّ أنّ هذا اللقاء هو ضمن مصيرك الأبدي ولو أعلن الله رحمته في المبدأ أو في بدء إلتقائك به ومنتهاه" (لميس، يوحنا والإخوة).

قال الرب يسوع: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يوحنا 17:5).

وقال أيضاً: "إرادة الله قداستكم 1" (تسالونيكى 3:4).

هذان المبدآن هما قاعدة جهاد الإنسان المسيحي الملتزم ومحوره اليومي!!

يا إخوة، أودّ أن أقول لكم إنّ ساعة الموت ليست الساعة التي تنقضي فيها حياة الإنسان، حين تنفصل روحه عن الجسد ويوضع في القبر فقط!!

لا...! إنّ ساعة الموت هي كلّ ساعة، بل كلّ دقيقة تنقضي من

عمرنا، أو يومنا، لا نذكر فيها إسم الرب يسوع القدوس، ليظهر فيها
قصدنا، ونوايا قلبنا وفكرنا، ونفس أنوفنا...!

نعم!! نحن نموت ألف ألف مية، كل صبح يُشرق وكل ليل
ينقضي..!!

الإنسان كتلة تناقضات!! يُحب، يشاق، ويحن إلى الرب وإلى
قرينه؛ وفي اللحظة ذاتها، يرفض ويمج وينتقد، مبتعداً عن الإله وعن
الآخر الذي هو عدل حياته وأختيار الله له!! ذاك الإنسان أو تلك
الجماعة ليحيا معها، فيها ومنها..!!

لماذا هذا الشواش في الإقبال والإدبار عن الإله وعن الإنسان!؟!

لأن الإنسان في أبتعاده، بل في رفضه الإله في الفردوس، رفض ما
لله، فانقسمت نفسه وأنشد إلى مادية وحيوانية ما تبقى له من إنسانية في
ذاته.

هكذا مات الإنسان بعد سقوطه من الفردوس مية أولى وحصلت
دينونته الأولى في السماء وفي الأرض التي منها أخذ..!!

وعاش الإنسان "التراب" واقعه الجديد، فصار ترابي النزعة، بل
ترابي الهوى والحب والطبيعة والروح..!

وسأل "موجوعو" الإله والسقوط، لماذا؟! لماذا تخلى الإله عن
الإنسان الذي هو أبداعه؟! هذا السؤال جرّ البشرية بأكملها إلى عدم
الإكتفاء وإلى "إدانة" ربها!! وكانت هذه هي الدينونة الثانية..!

وتتالت المعايير الخطأ لتحتكم في قاعدة تفكير الفرد والمجتمع!

أوقفوا الربّ أمام حكم الدينونة، سائلين، رافضين ثم دائنين!! وفي تلك الدينونة قتل الإنسان الإله وكلّ وصاياه وحبّه الذي هو جوهره!!

هكذا بدأت "دينونات" الربّ الجديدة، الجديّة للإنسان تتتالي وتتكّرر في زلازل الطبيعة، في الحروب إلخ...!! تَعْنَفُ علّه يرعوي. ثم تهدأ الأرض لينسى الإنسان آلام موته في الروح والنفس والجسد، فيعود إلى غيّه، إلى انحرافات طبيعة فكره، قصده وقلبه!! ومن كثرة أحتقانات مرض عدم محبة إلهه فيه، صارت طبيعة فكره دوديّة، تتكاثر في الإهتراء والظلمة وعنف المسلك وجسدانية المنطلق، فوصل بطبيعته الجديدة إلى الموت غير المحيي وإلى دينونة ذاته لذاته في عدم المحبة، بل في الكره والحقد وقتل الآخر باختراعاته الشيطانية.

ولم يقبل الإله الخالق موت خليقته، فنزل متجسّداً ليموت هو عن الذين أبدعتهم يداه، الذين دانوه، جاراً إياهم إلى الخلاص، إلى القيامة بدينونتهم له!!!

في تجسّد الإله، مات الإنسان العتيق مقيماً الجديد الذي أهداه إياه الربّ في المذود!!

هل تغير الإنسان بعد ولادة إلهه هدية له؟! شجرة أرز تنغرس في حديقة قلبه وحول أسوار منزله، وفي مسكن الإله!..!

"الإنسان لا يتغير!! نظرتة إلى نفسه وتعاطيه مع ذاته يتغير!!" (الأب إلياس مرقص).

"غبي أنا ولا معرفة عندي" (مزمور 22:72) لكنني حامل سرّ الألوهة والأبدية في كياني... في حسّ قلبي... في كليتي!!

دينونة الرب لنا هي إذا لم نكتشف وجه ألوهته في أعماقنا...!

لنمتدّ به إلى العالم حولنا مبشرين به وبما أعطانا!!

الرب لن يدين الإنسان إذا أخطأ، لأنه عارف طبيعته!!

لكنه سيدينه إذا لم يلتزم وصاياه ناموس عيش له!!

سيدينه إذا لم يبشر باسمه في الجماعة، لينقل صوت الكلمة فيصير فعل خلق إلهي إبداعى بين الأمم!!

سيدينه الدينونة المحرقة إذا لم يحب الله بكل كيانه، بكل ذاتيته التي تُعتم بسبب عدم محبتها للآخر والإمتداد إليه ذاتاً مخلوقة من يد ومحبة الإله فيه، ليكثرها هو الإنسان بحبه للإله وللآخر!!

سيدينه إذا لم يحفر تربة أرضه ليصير مكاناً خصباً لتفجر المياه الجوفية الإلهية، النقية، الشفافة، من عمق أعماق كيانه فتستقي منها قطعان الأغنام المهيأة للذبح على مذبح إلهها في عبورها هذا الطريق!

والرب لن يدين الإنسان، لأنّ خاطئاً ما قبل المسيح، صرخ قائلاً: "إن كنت للآثام راصداً يا رب من يثبت؟! لأنّ من عندك هو الإغتفار" (مزمو 141:14).

الأمّ مريم

